بنية المكان الروائي في روايات أحمد مراد

الباحثة/ سارة علي عبدالعزيز أحمد

الملخص:

إن المكان الروائي له دور مهم في بنية السرد لا يقل أهمية عن باقي العناصر السردية الأخرى، حيث يحمل دلالات مهمة تخدم تيمة الخطاب الروائي.

وروايات أحمد مراد شهدت تنوعًا ملحوظًا في تعدد الأمكنة، حيث ظهرت ملامح الأمكنة المفتوحة والمغلقة والمحدودة وغير المحدودة والإيجابية والسلبية.

لذلك اتسمت هذه الأماكن بملامح خاصة ودلالات رمزية، جعل الكاتب لكل منها مكانته الفريدة في النص الروائي، حيث أثارت ذهن القرّاء، وتركت أثرًا واضحًا في نفس الشخصيات الروائية.

وجاءت الأماكن المفتوحة متمثلة في الشوارع والجبال والأحياء والمدن.. ، وفي المقابل جاءت الأمكنة المغلقة متمثلة في المنزل والمعبد والبار والمشفى..، وهذه الأماكن تركت انطباعًا داخليًا وأثرًا لا يمكن إغفاله بالنسبة للمتلقي.

كلمات مفتاحية: المكان/ الروائي/ المغلق/ المفتوح

Abstract:

The narrative place has an important role in the structure of the narrative, no less important than the rest of the other narrative elements, as it carries important connotations that serve the theme of the narrative discourse.

Ahmed Murad's novels witnessed a remarkable diversity in the multiplicity of places, as the features of open and closed places, limited and unlimited, positive and negative, appeared.

Therefore, these places were characterized by special features and symbolic connotations, and the writer assigned each of them its unique place in the fictional text, as it stirred the minds of the readers and left a clear impact on the same fictional characters.

The open spaces were represented in the streets, mountains, neighborhoods and cities.. On the other hand, the closed places were represented in the house, the temple, the bar, and the hospital.., and these places left an internal impression and an impact that cannot be overlooked for the recipient.

مقدمة/

يأتي عنصر المكان في العمل الروائي ذا أهمية كبيرة مقارنة بباقي عناصر البناء الفني الأخرى، نظرًا لما يتضمنه من دلالات تثري رؤية الخطاب الروائي، فالمكان يظهر من خلاله هوية وطبقية الشخصيات وأي خلل به يؤدي إلى اختلال توازن في بنية النص الروائي.

فكما يظهر الدور الرئيس للشخصية في تقديم العمل الروائي، كذلك يتطلب تحديد فضاء مكاني تدور فيه تلك الشخصيات لإيصال الفكرة العامة للرواية إلى المتلقي، بتشكيل عناصر متألفة متضافرة تدعم النص السردي، وتجعله جاذباً لقارئه.

وعليه اخترت موضوع بحثي موسومًا بـ **(بنية المكان الروائي في روايات أحمد مراد)** لما حمله المكان من دلالات ومعاني مهمة بينت تيمة السرد، كما جاءت أشكاله المتعددة معبرة عن فحوى النص، فأهمية المكان لا يقل أهمية عن أي عنصر روائي آخر، لذلك هدف البحث إلى الوقوف على المكان بأنماطه المختلفة في روايات أحمد مراد، للكشف عن دلالته المضمرة ودوره المهم داخل بنية السرد.

التمهيد/

وبما أن الإنسان ينمو ويتطور خلال **عنصري الزمان" الفترة الزمنية التي يحييها منذ مولده وحتى وفاته"، والمكان " البيئة التي ينشأ ويترعرع فيها وتترك بصماتها على شخصيته"، فيعد المكان بذلك عنصر أساس ثابت تدور حوله باقي العناصر الفنية وتتصل به اتصالًا وثيقًا، فتحتاج الشخصيات" مكانًا لحركتها، والزمن يحتاج مكانًا يحل فيه ويشير منه وإليه، والأحداث لا تحدث في الفراغ، وسردها يستحيل إذا تم اقتطاعها وعزلها عن الأمكنة"**(١)

يمثل العنصر المكاني أداة من الأدوات الرئيسة المستخدمة في ربط عناصر البناء الفني بعضها ببعض، كما أن له " **تأثيره المباشر في الحدث وفى الأسلوب ولغة الحوار، ويعد المكان أحد معالم الشخصية، إذ به تتأثر ومنه تنطلق وإليه تعود، فيكون المكان المحدد في الرواية انعكاسًا للمكان المطلق العام، ويكون جهد الكاتب منصبًا حول تفصيل عناصر المكان ونقل صورة حية لأحداثه**" (٢)

ويظهر الكاتب شخصياته الروائية بتحديد الأبعاد الدلالية لعنصر المكان، حيث يعد ذلك العنصر هو المسؤول عن الفروق الاجتماعية والنفسية بل وأحيانًا الشكلية للشخصية، كما أنه المعبِّر عن معتقداتها ومبادئها وأفكارها وسلوكها.

وبذلك يعد " **عنصرًا أساسيًا في بناء الرواية، وإن اختلفت طريقة تشكيله وعرضه من روائي لآخر، وعلى الراوي أن يوليه الدقة نفسها التي يستخدمها عند تشكيله لعنصري الزمن والشخصية في الرواية**" (٣)

فهو في الرواية الحديثة لا يمثل الحيز الذى تدور به الأحداث فقط، بل هو حجر الأساس الذي يُبنى عليه النص الروائي بعناصره المختلفة.

" **وعندما نصف مكانًا فإننا نذكر صفاته، ومتعلقاته بشكل مباشر أو غير مباشر، ورصد إمكانات هذا المكان، وهذا الأمر يجعل المتلقي يوقن بتغير حال النص إلى حال أخرى بسبب تغير المكان وخلفياته**" (٤)

(١) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر-د/ صلاح صالح- ط١-١٩٩٧- القاهرة- ص ١٢

(٢) الشخصية الروائية بين على أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية- د/ نادر أحمد عبدالخالق ص ٤٣٣

(٣) دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ" دراسة تطبيقية"- حماني سعاد- مذكرة لنيل شهادة الماجستير- الجزائر- ٢٠٠٨م- ص٨

(٤)أبعاد المكان وأثرها في تشكيل النص في الخطاب الحسيني في(واقعة الطف)- أ.د/ سلافة صائب – العراق- جامعة بغداد-٢٠١٩م ص ٢٤٣

وتتنوع هذه الإمكانات بوضع الكاتب تفاصيل محددة لكل مكان مختار في أعماله الروائية ليظهر بعضها ضيقًا أو واسعًا، قديمًا أو حديثًا، سلبيًا أو إيجابيًا، ومنه قسم بعض النقاد العنصر المكاني لنوعين رئيسين وهما: المكان المفتوح، والمكان المغلق.

وسيتناول هذا المبحث نماذج متنوعة للكاتب أحمد مراد تضم أهم الأماكن المفتوحة والمغلقة التي أثارت ذهن القرّاء، وتركت أثرًا واضحًا في نفس الشخصيات الروائية.

ولنبدأها بالأماكن المفتوحة التي تعددت وتنوعت في روايات أحمد مراد، وتمثلت في الشوارع والجبال والأحياء والمدن.. وغيرها.

تلك الأماكن المتسعة التي ليس لها حدود تقيد حركة الشخصية بها، فتتنقل فيها الشخصيات عندما تغادر أماكنها المغلقة وتشعر فيها بالانطلاق وحرية الحركة، **وتكون هذه الأماكن شديدة الانتماء إلى مجموعة كبيرة من الناس والعكس في انتماء الناس إليها**" [1] وبالرغم من ذلك، تترك أثرًا جليًّا في نفس الشخصية، بل وتسهم في تحديد هويتها.

في رواية"١٩١٩" وقع اختيار الكاتب على عدد من الأماكن المفتوحة المميزة منها:

معسكر التل الكبير: منشأة إنجليزية بمدينة الإسماعيلية بمصر أعدت أيام الاحتلال الإنجليزي على مصر، يعد المعسكر أحد الأماكن المفتوحة التي يقيم بها ضباط وعساكر الإنجليز أثناء فترة تواجدهم في مصر، مأمنه ومجهزة بشكل يناسب حياة الإنجليز التي تتسم بالرفاهية والوضع الاجتماعي المرتفع وصفه الكاتب من الداخل بأنه" **يحوي عنابر سكن الجنود، مكاتب إدارية ومخازن أسلحة، هناجر للصيانة وساحات للتدريب وعيادة**"[2]

ظهر من الوصف السابق أن المكان مقسّم بشكل جيد، مناسب للإقامة لفترات طويلة، يسمح بعلاج المصابين من الإنجليز لتوافر عياده مهيأة للعلاج به.

كانت الشخصية الرئيسة تعمل "مسؤول الكانتين" في المعسكر، حيث كان يبيع للإنجليز السجائر والنبيذ والمخدرات، وكل ما لذ وطاب بالنسبة لهم، فكان المكان في بادئ الأمر مكانًا إيجابيًا في نفس البطل حيث كان يدرّ عليه المال الوفير مقابل مبيعاته، بينما انقلب الأمر رأسًا على عقب بعد ما قتل الإنجليز والد البطل ليصبح مكانًا سلبيًا، يبغضه البطل،

(١)المكان في روايات تحسين كرميانى- قصى جاسم أحمد الجبورى-جامعة آل البيت- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-٢٠١٦ م- ص٩٢

(٢) رواية ١٩١٩ – أحمد مراد ص ٢٤

ويبغض من فيه، فحاول دخوله وقتل من فيه، لأخذ حق والده، لكن تم القبض عليه سريعًا.

انتقل الكاتب إلى مكان مفتوح آخر في الرواية نفسها، وهو "**ميدان الضاهر**": الذى كان " **محفوفًا بالنخل من كل جانب، يتوسط الميدان بأسوار مرتفعة أخفت من هيئته ما يدل على أن هذا المكان كان مسجدًا، لا مئذنة ولا عتبة، فقد هدم الفرنسيون مئذنته سنة ١٨٠١م واستخدموه كقلعة حربية مدة وجودهم في مصر، ثم حوله الإنجليز حين أتوا بجيوشهم إلى مذبح للحيوانات، قبل أن يتم العفو عنه، وتغلق أبوابه على خليط من روائح الروث والدم**"[١]

يعد الميدان نقطة انطلاق ثورية مهمة ومكانًا لتجمع المتظاهرين والمناضلين ضد الحاكم أو الاحتلال، لذا جعله الكاتب نقطة انطلاق البطل الذى نفّذ فيه عملية اغتياله لأحد الوزراء المتآمرين مع الاحتلال، فشعور البطل بالقلق والارتباك تناسب مع الوصف السلبي للمكان خلال فترة الاحتلال، وبذلك أصبح المكان رمزًا للنضال والتضحية.

ونظرًا لقيام الشخصية الرئيسة الثورية بعمليات اغتياليه متعددة، فكان من الطبيعي احتياجها لأماكن للتدريب والتمرس على القيام بتلك العمليات، فوقع اختيار الكاتب على أحد الأماكن المفتوحة وهو" **الغابة المتحجرة**" بجبل المقطم حيث" **الشعاع الأبيض المشرّب بزرقة السماء رسم على الأرض ظلالاً مبهمة تتحرك ببطء، أغصان وجذوع متناثرة تحجرت منذ الملايين السنين في الوادي، صنعت طرقًا وحواجزًا ومغارات تتخلل الرياح المسافات بينها فتحدث صفيرًا وسط ضباب يهيم قرب الأرض**" [٢]

ذلك المكان المترامي الموحش كثيف الأشجار، المنسي منذ ملايين السنين اختاره الكاتب ليصبح مكانًا لتدريب البطل وعدد من الشخصيات الروائية على كيفية القيام بعمليات الاغتيال، وجاء وصفه مناسبًا لطبيعته، فهو مكان فارغ شديد البرودة، لم يذهب إليه أحد منذ زمن بعيد عن الأنظار والمسامع حتى تكون طلقات الرصاص وأصوات المتفجرات في منأى عن الناس، وبذلك كان الاختيار الأنسب لتحقيق الغرض الروائي، وعنصر روائي مؤثر في بنية الخطاب السردي.

(١) نفسه، ص ٣٠٨

(٢) نفسه– ص ٢٧٧

وأبرز الكاتب عنصر المكان في رواياته باستخدامه" **للغة التي تقوم بالوصف، وتنقل إلينا تفصيلاته وأنساقه، ومعالمه الجغرافية والفيزيائية، وحينئذ سوف يتفاوت التعبير عن المكان بتفاوت اللفظ**" (١)

ويتضح ذلك بشدة من خلال روايته "فيرتيجو" واختياره لكلية الفنون الجميلة: مكاناً مفتوحًا في تلك الرواية واصفًا إياه " **وسط الشوارع الهادئة.. تحوطها الأشجار من كل جانب.. كلية الفنون الجميلة.. قلب الزمالك الجميل**"(٢)

عبّر الوصف السابق عن إيجابية المكان في نفس الشخصية الرئيسة، فهو مكان يلتقى فيه البطل بحبيبته، فيشعر فيه بالارتياح والطمأنينة والحب والسعادة المطلقة، جاء وصف الكاتب للمكان محدودًا، لكنه يحمل العديد من المشاعر الإيجابية المناسبة لطبيعته.

مكان واسع وهادئ ممتلئ بالأشجار التي تنشر الجو الصحي في المجتمع، وتبث الهدوء في النفس، ووجود كلية الفنون الجميلة بحي الزمالك الراقي جعل لها قيمة ومكانة مميزة وأكد الكاتب بذلك على " **أن هناك علاقات إنسانية نفسية ووجدانية تنشأ بين المرء والأماكن التي يعيش فيها، وينتقل خلالها، وبقدر ما تكون الألفة والعشق**"(٣)

وفى رواية " **تراب الماس**" كانت المقابر هي المكان المفتوح الذى وصفه الكاتب قائلًا " **مقابر الإمام.. فناء متواضع يكثر حوله الصبار، مغلق بباب صدئ وبجانبه سبيل مياه معطوب مكتوب عليه: اقرءوا الفاتحة لصاحب هذا السبيل..**" **حنفي الزهار..**" (٤)

مثلت المقابر المدفون بها حنفي الزهار" جد" الشخصية الرئيسة مكانًا موحشًا مظلمًا سلبيًا في نفس البطل، فجاء الوصف مناسبًا فهو فناء متواضع يدل على الوضع المادي والاجتماعي البسيط للشخصية الرئيسة وأسرتها، ويكثر حوله وجود نبات الصبار، ليؤكد مرارة الحياة التي يحياها البطل ويعبر عن الألم الذى بداخله، حتى أن بجانبه سبيل للمياه، لكنه معطل وهذا يلاءم ويناسب طبيعة المكان الذى يُعد نهاية للمرء فلا جدوى لوجود الماء فيه، فذهاب البطل إلى المقابر لدفن الجثة التي تورط في مقتلها، جعله يشعر بالذعر والرهبة الشديدة، ليزداد الأمر سوءًا برؤيته لمقابر عائلته وتذكره لمقتل والده، وبذلك يصبح لذلك العنصر المكاني تأثيرًا بالغ السوء في نفس البطل، ويترك بداخله ذكرى سيئة يصعب محو أثرها مع مرور الوقت.

---

(١) استعادة المكان – دراسة في آليات السرد والتأويل – محمد مصطفى على حسانين– رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا– نموذجاً – ص ١١– ٢٠٠٥م

(٢) رواية فيرتيجو –أحمد مراد– ص ٣٠٨

(٣) جماليات المكان في ديوان" لا تعتذر عما فعلت" للشاعر محمود درويش– أ– محمد أبو حميدة– ٢٠٠٨م– ص٤٧٥

(٤) رواية تراب الماس– ص٣٠

وفى رواية" **أرض الإله**" شكّل الحى مكاناً مفتوحًا له طابعه الخاص حتى إن الكاتب قام بذكره أكثر من مرة، فكانت المرة الأولى متمثلة في "**حي إليوسيس بالإسكندرية**" يوجد شرق مدينة الإسكندرية، يعرف بحي العاهرات، حيث توجد به أجمل نساء المدينة، وتتنافسن بجمالهن لجلب الرجال والحصول على الأموال" **إن ساكنات هذا الحي لا يستيقظن صباحًا**"(١)

تعيش به" ناديا" حبيبة البطل، التي تعمل عازفة للناي في هذا الحى، وعندما ذهب البطل لهذا المكان للبحث عن ناديا والوصول إليها تنفيذاً لوصية والدها شعر بالقلق والتوتر نتيجة تواجده في هذا المكان، وبذلك كان للحي دلالة مكانية سلبية في نفس الشخصية الرئيسة، بل وفى نفس حبيبته التي تمنت كثيرًا مغادرة هذا المكان السيئ، وبمجرد التعرف على البطل قامت بالهروب معه من ذلك المكان الذى ترك بداخلها مشاعر سلبية بغيضة، وهنا تجلى دور المكان في بناء الحدث الروائي من خلال تنقل الشخصيات الروائية من مكان لآخر.

وجاءت المرة الثانية لذكر الحي متمثلة في " **حي الإسرائيليين**" في الجزء الثاني من الرواية والذي كان بطله سيدنا " موسى" عليه السلام، فهو عبارة عن " **طريق طويل مُظلل بالأقمشة، يتراص على جوانبه باعة الكروم والتمور والشعير وجزّار اللحوم**"(٢)

وأكمل الكاتب وصفه عندما انحرف البطل أثناء سيره في الحي تجاه " **خرائب بني إسرائيل حتى كثر الذباب وفاحت الروائح الكريهة قبل أن يمر تحت بوابة خشبية مُتسخة كُتب عليها بالدماء وبآرمية رديئة "الأراذل**"(٣)

يتضح من خلال الوصف السابق أن هذا الحي مكان شعبي، يفترش فيه الباعة على جانبيه، كما جاء اسمه مناسبًا لوضعه، فكلمة خرائب عبرت عن مكان سلبي تفوح منه روائح سيئة وتنتشر فيه الدماء وتتناثر فيه العاهرات، وبذلك خدم العنصر المكاني البنية السردية وعبّر عن الأحداث التي أوضحت ما آل عليه اليهود أثناء حكم فرعون، كما أكد ذلك الوصف المكاني واقعية الأحداث الروائية التي أثار بها الكاتب تفاعل المتلقي.

"**جبل الطور**": صورة الجبل تعبّر عن الشموخ والصلابة، فالجبل له مكانة مهيبة في النفوس، واتسم هذا الجبل بالتحديد بمكانة دينية متميزة لذكره في القرآن الكريم، حيث إنه المكان الذي كلم الله منه سيدنا موسى ووصفه موسى قائلًا " **في القمة أرض مقعرة**

(١) رواية أرض الإله– ص٦١
(٢) نفسه– ص ٢٣٦
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٦

تمتلئ بالأمطار، في وسطها صفصافة أكبر من تلك التي نجلس تحتها وأغزر أوراقًا وأغصانًا أدركتها ليلًا وكانت تشع بنور فيروزي يتموج، دخلت في ستائرها وجثوت في المياه خاشعًا، حتى تكلّم ربى، أمرني بالصيام إلا من مياه الشجرة وأوراقها، وأمرني بالصبر والصمت، قضيت الأيام في داخلها لا أخرج ولا أقضى حاجتي، فلم أشعر بحاجة" (١)

مكان مفتوح ترك أثرًا إيجابيًا في نفس الشخصية الرئيسة، فأثناء تواجده فيه شعر وكأنه في الجنة لا فرق بين النوم واليقظة، الليل والنهار، لا يطلب طعامًا ولا يتمنى لقاء أحد، مشاعر روحانية مبهجة شعر بها البطل، وانتقل إحساسه للقارئ بسلاسة من خلال الوصف السردي المتقن.

وبذلك أصبح المكان المفتوح هنا مكانًا تستريح فيه الشخوص من الصعوبات التي تواجهها لفترة مؤقتة تعود بعدها لاستكمال مسيرتها الحتمية.

وفي رواية " **لوكاندة بير الوطاويط**" تنوعت الأماكن وتعددت معها الأحداث الروائية، فلا يوجد " **رواية تجرى جميع حوادثها في مكان واحد منفرد، وإذا ما بدأن الرواية تجري في مكان واحد خلقنا أوهامًا تنقلنا إلى أماكن أخرى**"(٢)

هذا ما فعله الكاتب باختياره **لوكالة المحروقي:** ذلك المكان المفتوح الذى وصفه السارد قائلًا: "**جنة من جنان السماء، كلما مررت بها سال لُعابى على بضاعتها، واندفعت الدماء في عروقي ساخنة حارقة تشوى الأفاعي وتبعثر أشلاءها . وكالة المحروقي هي المنافس الأول لوكالة " السلحدار" في توريد وجلب الجواري والعبيد**"(٣)

ذهب إليه البطل لشراء جارية لتعيش تحت خدمته، وكان لذهاب هذا المكان أثرًا إيجابيًا في نفس الشخصية الرئيسة التي تمتعت بالنظر إلى هؤلاء الجواري شديدات الجمال، وشعرت كأنها بجنة من جنان السماء، عبّر الكاتب بذلك الوصف المكاني عن زمن الرواية بشكل غير مباشر من خلال سرد الحدث الذى مر به البطل، مما أثبت تناغم العناصر الفنية وتداخلها بشكل تلقائي نهض بالبنية النصية للرواية.

(١) المصدر نفسه – ص ٣٩٣

(٢) ميشال بوتور:.بحوث في الرواية الجديدة -ترجمة : فريد أنطونيوس. منشورات عويدات – بيروت / باريس -١٩٨٦ م- ط ٣- ص٦١

(٣) رواية لوكاندة بير الوطاويط – أحمد مراد- ص١٣٠،١٣١

الأماكن المغلقة:

هي تلك الأماكن محددة الاتجاهات الأربعة، ذات قيمة دلالية وأثرًا سلبيًا إما إيجابيًا في نفس الشخوص الروائية.

تتسم الأماكن المغلقة بأنها "**مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب حتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة مادية واجتماعية تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعًا داخليًا بين الرغبات وبين الواقع**"(١)

وتتنوع تلك الأماكن وتختلف من رواية لأخرى، وتظهر في روايات أحمد مراد متمثلة في المنزل والمعبد والبار والمشفى.. وغيرها من الأماكن التي تركت انطباعًا داخليًا وأثرًا لا يمكن إغفاله.

ففي رواية " **فيرتيجو**" وقع اختيار الكاتب على " **المشرحة**" كأحد الأماكن المغلقة المخصصة للاحتفاظ بجثث الموتى ووضع له وصفًا مخصصًا قائلًا " **كانت المشرحة ضيقة.. خانقة.. تفوح منها رائحة "فورمالين" حاول منع التعفن ولكنه فشل. تتقطع الإضاءة المنبعثة من اللمبة النيون الوحيدة التي تعتم المكان أكثر من أن تضيئه. رُصت الثلاجات التي ملأها الصدأ بداخل حيطانها، وتآكلت مقابضها وتقشر لونها الأزرق الباهت**"(٢)

ذلك المكان الضيق الخانق الذي ذهب إليه البطل للتعرف على جثة صديقه" جودة" الذى مات إثر اصطدامه بحافلة، لحظات ثقيلة مرت على البطل شعر فيها بكآبة المنظر في هذا المكان المظلم المخيف الذي يحوي قصصًا وحكايات لا يعرف أحد عنها شيئًا، فأصحابها فضلوا الصمت والابتعاد عن تلك الحياة الشاقة المحبطة.

يُعدّ ذلك المكان سلبيًا في نفس الشخصية الرئيسة التي فُجعت بخبر وفاة صديقها، ورؤيته بعد الحادث، فجعل المكان المغلق هنا الشخصية تختنق وتشعر بالقلق والتوتر.

ينتقل الكاتب لمكان آخر مغلق وهو " **الكازينو** " ذلك المكان المخصص للسهرات والاستمتاع والترفيه" **كانت الصالة في ذلك اليوم مكتظة مبكرًا عن ميعادها، فاليوم خميس وكما يقولون عيد ميلاد إبليس.. امتلأت الترابيزات، ورُصت عليها الكئوس وأطباق المزة العامرة، صخب وضحكات، رائحة عطور متداخلة، ودخان وملابس ملتصقة**"(٣)

(١) بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية – حفيظة أحمد– مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة– فلسطين– ٢٠٠٠م –ط١–ص ١٣٤

(٢) رواية فيرتيجو –ص ١٧٦

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥

بالرغم من أن ذلك المكان تقضي فيه الشخصيات وقتًا مريحًا تبتعد فيه عن ضغوطات الحياة؛ فمن المفترض أن يكون مكانًا إيجابيًا يشُد إليه الشخصيات، لكنه هنا يعبّر عن النقيض فيقول عنه البطل " **ذلك المكان البائس**" (١)

يبغض البطل الكازينو، لأنه مكان عمله الذى يضطر للتواجد به يوميًا، وتتكشف له فيه الشخصيات على حقيقتها التي ظنها من قبل شخصيات وقورة محترمة، كان يقتدى بها، فأصبح المكان عنصرًا بائسًا سلبيًا في نفس الشخصية الرئيسة، تتمنى أن تتركه في أسرع وقت ممكن.

وفى **رواية "١٩١٩"** اختار الكاتب بعناية فائقة " **حمام الثلاثاء**": أحد الأماكن المغلقة التي خصصها الكاتب للقاء أعضاء جماعة اليد السوداء المطاردين من قبل الإنجليز والحكومة المصرية ويتم مراقبتهم طوال الوقت، فقال الكاتب عنه " **مغطس حجري واسع تستحم فيه الأجساد، ثم تستلقي من حوله على البلاط عارية إلا من فوط تدارى العورات، نائمة على وجوهها في استرخاء مستسلمة لأيدي رجال غلاظ يفركون جلودها بليف خشن وأحجار تستخلص الخلايا المتهالكة والعرق والإرهاق لتبث النشوة والنشاط**" (٢)

الحمام ذلك المكان المخصص لراحة الإنسان اختاره الكاتب، ليؤكد راحة الشخصيات الروائية به، وإتمام الأحاديث الخاصة بعمليات الاغتيال التي يتفقون على القيام بها، فيعد مكانًا إيجابيًا في نفس الشخوص الروائية، يشعرهم بالهدوء والسكينة والاسترخاء، بعيدًا عن أعين الحكومة المصرية وجنود الاحتلال الغاشم، وجاء مغلقًا مؤطرًا بالحدود للحفاظ على تلك الأسرار القومية. وعدّد الكاتب في روايته من استخدام الأماكن المغلقة فاختار" **الكنيسة**" التي " **لم تكن بعيدة عن الأزبكية بناء مخروطي القباب يتوسط شارع عبّاس الأول...باب مُغلق على غير عادته**"(٣)

برع أحمد مراد في اختياره لذلك المكان الديني المغلق ووضع له وصفاً يثير ذهن القارئ ويجعله متشوقًا للقراءة طوال أحداث الرواية، فجعل للمكان بابًا مغلقًا على غير العادة، فالمعتاد أن تلك الأماكن الدينية المقدسة تكون مفتوحة الأبواب دائمًا، ومسموح دخول الناس بها في أي وقت، ولكن نظرًا للظروف المضطربة التي تمر بها البلاد، أثناء فترة الاحتلال الإنجليزي، فأغلقت الكنيسة أبوابها للحفاظ على الأمان بداخلها، وذهاب حبيبة

(١) نفسه، ص ٨٦
(٢) رواية ١٩١٩ -ص٣٣٦
(٣) نفسه، ص ١٦٢

البطل للكنيسة، كان بحثًا عن الأمان داخلها، لأنها لم تجد الأمان في الخارج، ويكمل الكاتب وصف الكنيسة قائلًا: " **بها غرفة رطبة مليئة بأدوات الحديقة وآنية البذور**" (١)
جاء ذلك الوصف للغرفة التي أقامت بها " ورد" حبيبة البطل، والموجودة بالكنيسة، تلك الغرفة التي جعلت الفتاة تشعر بالطمأنينة التي كانت في أشد الحاجة إليها، وبمجرد شعورها بالأمان غمضت جفونها ونامت في سلام.
جاء عنصر المكاني هنا ليشبع رغبة الإنسان في الحصول على الطمأنينة، فيحتاج الناس لتلك الأماكن المقدسة في هذه الأوقات العصيبة، فجعل ذلك للمكان هنا دلالة إيجابية في نفس شخوص الرواية، وأثرًا بليغًا في زوال الغمة والهموم بمجرد التواجد في تلك الأماكن الروحانية.
لذا " **غدا المكان جزءًا مكونًا من الهوية الشخصية والحضارية لشخوص الرواية، وأنماط تفكيرهم وحياتهم، وهذا يدل على القيمة الواقعية غير المرئية له**" (٢)
ويكمل الكاتب إظهار العلاقة الوثيقة بين المكان وباقي العناصر وعلى رأسها الشخصية من خلال اختياره للمنزل، بوصفه أهم وأبرز العناصر المكانية المستخدمة في عالم الرواية، والمعبرة عن دواخل الشخصيات الروائية.
فيعدد الكاتب مواضع المنزل ويبدأها في تلك الرواية " **بمنزل سعد زغلول**": ذلك المكان المغلق المتواجد بحي الإنشاء بالمنيرة واتصف بأنه مزود " **بالأثاث من فرنسا وفيينا وألمانيا، بيت يليق بابنة باشا ورئيس وزراء**" (٣)
جاء الوصف مناسبًا لوضع سعد باشا زغلول الوزير المرموق وزوجته بنت الأصول صفية هانم ، فامتلأ المنزل بالأثاث الراقي المصنّع خارج مصر، ومزود بالحدائق الواسعة وإسطبل للخيول، كما أنه مكان تجمع كبار رجال الدولة الرافضين للاحتلال وزوجاتهم، كما يعد مكانًا إيجابيًا ونقطة لانطلاق ثورة المصريين، ورمزًا للنضال الوطني، ولأن المنزل يمثل الروح والجسد لشخصيات أصحابه، فمزج الكاتب دلالة المكان بدواخل الشخصيات الروائية خلال العنصر الزمنى في تلك الفترة عن طريق الأحداث الروائية، فوضع وصف إيجابي للمنزل في الفترة التي تسبق اعتقال سعد زغلول، بينما وضع وصفًا مناقضًا للمنزل بعد اعتقال سعد زغلول فقال عنه " **مخلوقًا**

(١) نفسه – ص١٦٥
(٢) الرواية العربية وخصوصية المكان – قراءة في روايات رجاء عالم– د/ أحمد جاسم الحسين –دمشق– ٢٠٠٩م –ص ١٤٥
(٣) رواية ١٩١٩ – ص ٦٢

ضخمًا شاخ فجأة فمات مكانه، أظلم السلاملك وغُلّقت البوابات وعمّ السكون الحديقة والأسوار، قبع الخدم في الطرقات والمطبخ أَرِقين على مُستقبل سيدهم" [١]

أصبح المنزل شاحب ومظلم بعد ترك صاحبه له، هذا دليل كبير على ارتباط الأماكن بالشخوص والأزمنة، فلا يصبح للمكان أهمية وقيمة إلا بالأشخاص الذين يملؤون الأماكن بهجة وروح وبمغادرتهم تنطفئ هذه البهجة وتموت الأماكن وتذبل كالورود التي يهجرها صاحبها ولا يرعاها، ويكمل الكاتب وصفه للمنزل بوصفه مكانًا مغلقًا في رواية " تراب الماس" عندما أشار " لمنزل ليبتو اليهودي" الذى يوجد في حارة ضيقة تسمى " درب نُصير" له " **بوابة حديدية تحرسها نجمة سداسية وقرن كبش كبير** " [٢]

تمثل تلك النجمة الحرف الأول والأخير من اسم داود باللغة العبرية، ويتم الرمز بها للديانة اليهودية، كما يمثل قرن الكبش " البوق" الذى يستخدمه اليهود في أعيادهم، ويعبرون به عن الفرحة والانتصار.

وظّف الكاتب المكان باستخدام الوصف اللغوي في قوله " **أن تلك النجمة وُضعت لتحرس المنزل**"، وتظهر هنا جرأة اليهود في وضع تلك الرموز على منازلهم بسبب شعورهم بالطمأنينة خلال فترة الاحتلال الإنجليزي، فذلك ساعدهم في إبراز تلك الرموز، كما أنها بالفعل كانت تحميهم من الغارات التي تقوم بها قوات الاحتلال على منازل المصريين، فصبغ هنا الكاتب المكان بدلالات ورموز جديدة تناغمت في السياق الروائي وتركت أثرًا واضحًا في نفسية القراء.

وصف الكاتب " المصعد" في رواية " تراب الماس" بوصفه مكانًا مغلقًا بأنه " **مصعدًا عتيقًا وضغط رقمًا ممسوحًا كان يشير للدور الثاني يضغط بابه الصدئ بيده ليصعد ببطء دودة قز**"[٣]

عبر ذلك الوصف عن مكان قديم عتيق يوجد في عمارة متهالكة يعيش بها البطل ووالده تعبر عن الحالة المادية والاجتماعية للبطل ولأسرته، فوضعهم المادي لا يسمح لهم بالانتقال لشقة في عمارة أفضل من ذلك، ويتضح سلبية ذلك العنصر المكاني الذى نمّت عن شخصية بائسة كئيبة مفتقدة للحيوية والفرحة.

ويؤكد الكاتب على الوضع الذى يحيا به البطل من خلال " **المشفى**": ذلك المكان المغلق الذي أقام به البطل أثناء فترة علاجه، ووصفه " **مستشفى القصر العيني.. العناية**

(١) المصدر نفسه ص ٧٧
(٢) رواية تراب الماس – أحمد مراد – ص١٤
(٣) نفسه، ص ٥٣

المركزة.. بدأ جهاز رسم القلب يضطرب بجانب سرير متواضع مُحاط بستائر زرقاء باهته" (١)

هذا المكان المتواضع ضعيف الإمكانيات يتناسب مع الوضع المادي والاجتماعي للشخصية الرئيسة التي لا تملك سوى العلاج على نفقة الدولة، فتظهر سلبية المكان وأثره النفسي السيئ في نفس البطل الذى يفتقد الإمكانيات التي تسمح له بالعلاج في مشفى أفضل من ذلك.

واختيار الكاتب لوصف الستائر بهذا اللون الكاتم الكئيب الباهت رمز لحياة البطل البائسة باهتة الألوان في ظل فقدانه لوالده ووالدته.

وضع الكاتب نقيض للأماكن المغلقة السابقة عندما ذكر " **فندق الفورسيزون**" ذلك المكان المغلق الذى يعيش به أحد رجال الأعمال المشبوهين الذى اضطر البطل للذهاب إليه لقتله تنفيذاً لأمر رئيس المباحث به " **غرفة فخمة بحق، على اليسار حمام واسع مريح من الرخام، وفى الأمام غرفة بها سريران ملكيان بلوني النبيذ والذهب وتليفزيون (plasma) كبير**" (٢)

يظهر الوصف السابق إيجابية العنصر المكاني الذى يترك أثرًا مريحًا في نفس الشخوص، لما به من غرف واسعة فخمة تناسب الشخصيات ذات الوضع المرتفع في المجتمع، ويوجد به أسره كأسرة الملوك، ووسائل للتسلية والترفيه على أعلى مستوى، هذه الخدمات المميزة لا يستطيع الحصول عليها إلا من لديه القدرة المادية، وهذا ما جعل الشخصية الرئيسة تنبهر بذلك الوضع الذى سيظل بالنسبة لها حلمًا يصعب الحصول عليه.

وفى رواية" **لوكاندة بير الوطاويط**" أشار الكاتب لأحد الأماكن المغلقة المؤثرة بشكل قوي على نفس الشخصية وهو " السجن" " **ارتبط السجن في ذهن الإنسان بالعقوبة والحرمان وبهذا المعنى يكون السجن مكان اعتقال المحكوم عليه بعقوبة سالبة للحرية، ولذلك يرهب الناس السجون، لأنها تحرمهم من حرية الحركة والتنقل والكلام وحرية العيش، فهي عالم خاص ونظام صارم يتجاوز حدود المعقول**" (٣)

(١) رواية تراب الماس، ص ١٢٩

(٢) نفسه، ص ٣٧١

(٣) البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، للطالب/ على المنصوري- الجزائر ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م- ص ١٣٦

ظهر ذلك من خلال الوصف الظاهري البسيط الذى وضعه الكاتب للسجن على لسان السارد عندما قال " **فسجن القلعة مثل القبر، ما بيرجعشي ميت**" (١)

يحمل ذلك الوصف المشاعر الخفية التي شعر بها البطل عندما ألقى في سجن القلعة بعد اتهامه بمقتل أحد رجال السلطان، عبّر هذا الوصف عن مكان مرعب أثار الفزع والذعر في نفس الشخصية الرئيسة، حتى أنه شبهه بالقبر الذى لا يبعث الناس للدنيا مرة أخرى، رمز ذلك العنصر المكاني المعاناة التي تركت أثرًا سلبيًا في نفس البطل، فظهر هنا اهتمام الكاتب بالوصف المعنوي للسجن عن الوصف المادي له.

ليعبر عن القلق والاختناق الذى تبثه بعض العناصر المكانية الضيقة في نفوس الشخصيات.

وفى رواية "**أرض الإله**" وقع اختيار الكاتب على " مكتبة الإسكندرية" لتكون أحد الأماكن المغلقة الرئيسة في الرواية التي وضع لها الكاتب وصفًا شكليًا تمثل في قوله " **الأبنية البيضاء الهائلة والعمود الضخم الذى يعلوه تمثال لبطليموس الأول مُزين بالأحجار**" (٢)

يتضح من خلال الوصف الخارجي فخامة المكان ووضعه وشأنه المرموق، وأبنيته البيضاء دليل على نقاءه ونظافته، ولم يغفل الكاتب عن تحديد وصفًا معنويًا لهذا المكان فقال" **لا ينال شرف الدخول إلا عالم أو متبرع بكتاب**" (٣)

ذلك المكان دخله البطل للحصول على البرديات التي أراد ترجمتها تنفيذًا لوصية معلمه، ووجده مكانًا له هيبته وعظمته، وُضِعَ به الكتب القيمة النادرة التي لا مثيل لها في العالم، فوقع اختيار الكاتب للمكتبة لتكون مكانًا لنشر العلم والحقيقة والخير للعالم أجمع، وجعله مكانًا يتمنى اليهود أن يضعوا توراتهم المحرفة فيه حتى يتم نشرها وتداول الأكاذيب الموجودة بها في مختلف بقاع الأرض.

وترك ذلك المكان أثرًا إيجابيًا في نفس البطل الذى استطاع في النهاية تنفيذ وصية معلمه وترجمة البرديات وفضح حقيقة اليهود وأكاذيبهم.

ورمز الكاتب بذلك العنصر المكاني المميز لقيمة العلم ومكانة العلماء في المجتمعات التي تسعى إلى النهضة والتقدم.

وفى الرواية نفسها قدَّم الكاتب وصفًا أظهر من خلاله مكانة " **المعبد**" قديمًا عندما قال " **في المعبد العتيق قضى موسى ثلاثة أشهر، فقد خلالها الشحم وبرزت عظامه، حلق**

(١) رواية لوكاندة بير الوطاويط، ص ٢٠٤

(٢) رواية أرض الإله، ص ٦٤

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٤

رأسه وذقنه على طريقة الجيبتين، مارس الصوم عن الكلام، ثم بدأ التأمل وتصفية النفس على صوت التسبيح باسم خالق الكون الأوحد قبل أن يتلقى حكمة إدريس المدونة في كتاب " سر الملكوت"، طابت نفسه وسكنت روحه، وبداله أن تلك البقعة من الأرض الساكنة، هي الملاذ" (١)

اختار الكاتب هذا المكان الديني المغلق المملوء بالروحانيات والسلام الداخلي ليصبح الملاذ الذى يذهب إليه البطل ليعيش به فترة زمنية بسيطة، لكنها تتسم بالهدوء والحكمة وبعيدة عن العنف والتعصب، فهذه الأجواء الإيجابية جعلت الشخصية الرئيسة تعيش في حالة من الزهد والرضا بالمكتوب، مما كان له أثر إيجابي في نفس الشخصيات الروائية وعلى رأسها الشخصية الرئيسة.

ينتقل الكاتب بوصفه إلى قاعة المحاضرات " **مكان المحاضرة كان مسرحًا قديمًا شُيد على الطراز الروماني كحرف الU اللاتيني يتكون من ستة عشر صفًا من المدرجات المرقمة، تتوسطه دائرة قطرها واحد وعشرون مترًا، تصلح للعروض الموسيقية ومصارعة العبيد إن وجدت، يشعر الحاضر فيه كأنه قد عاد إلى سنة ٢٠٢٠، أعتز منذ تجديده بعد زلزال البحر المتوسط الذي أغرق الدلتا والإسكندرية بإلقاء محاضراتي فيه، أقف من بعيد، مراقبًا الجمهور الذى ما زال يحمل للحضور المكاني حنينًا وشغفًا رغم تسجيل محاضراتي بالأبعاد الثلاثية** (٢)

يوضح لنا الكاتب من خلال إشارته ووصفه للمكان المغلق بأنه مكان تعليمي جامعي، لإعداد طلبة متميزين، كرمز من الكاتب لذلك المسرح، لكن ذلك المسرح هو من أهم الأماكن الرئيسة في الرواية للشخصية الرئيسة، لإلقائه به محاضراته عن الإلحاد، وتلك القضية المهمة التي ينتمى إليها الكثير من الناس دون فهم لتلك الأفكار الخاطئة، لذا وجب على الكاتب وصفه للمكان بكل دقة ووصفه وصفًا تفصيليًا مدققًا وهندسيًا لحب الشخصية الرئيسة لذلك المكان.

وينتقل الكاتب بنا لمكان آخر وهو المنزل الذى أسماه الكاتب في روايته " الملاذ" تخللت المارة حتى وصلت أمام " الملاذ" لافتة نحاسية على باب فيلا قديمة من ثلاثة طوابق ترجع ربما لمائة عام مضت تحمل واجهتها بقايا نقوش عتيقة، تغطيها فروع متسلقة تكاد تخفي لون الحجر، بالإضافة إلى شجرة باسقة غليظة الجذع في الحديقة تظلل المبنى" (٣)

(١) رواية أرض الإله، ص ١٥٨

(٢) رواية موسم صيد الغزلان، ص ١٨

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥، ٦٦

يتضح من خلال وصف الكاتب للملاذ بأنه (فيلا قديمة منعزلة) راحت نوقشها وألوانها من كثرة الأتربة التي غطت النقوش وأوراق الأشجار التي تخفى ألوان الحجر، لكن الكاتب أشار لذلك المكان بالملاذ في ذلك المكان المهجور للاسترخاء وليس للمعيش به، ولذلك وصفه الكاتب بكل دقة خارجيًا وداخليًا، والكاتب وظف المكان مع الحدث الملائم للشخصيات من خلال استرخاء الشخصية الرئيسة به لمدة أسبوع وتغيره من فكره الإلحادي وتذكره كل ماضيه وأخطائه إلى تغيير جذري أثر على حياته الفكرية والحياتية التي عاش بها طوال حياته إلى إنسان جديد مختلف فكريًا ودينيًا وإنسانيًا إنسان ذو إيمان قوى، لذلك يعد ذلك المكان بمثابة الروح التي عادت لصاحبها وجعلته كمولود جديد عنده إيمان بالله ومن ثمّ أثر المكان تأثيرًا إيجابيًا على الشخصية الرئيسة، ومن خلال اختياره لتلك الأماكن المفتوحة والمغلقة اتضحت مكنوناتها وأفكار شخوصها ومعتقداتهم وسلوكهم.

فاستعانته بالعديد من الأماكن جعله يرسم صورة حية للواقع على مدار الأزمنة المختلفة.

كما أظهر استخدامه للرمز في وصف العناصر المكانية بنوعيها تحقيق أغراضه الأساسية في مختلف رواياته، التي ربط فيها الشخوص بالأماكن بالأحداث داخل الأطر الزمنية لعرض فكرة سردية في نهاية العمل مكتملة الأركان الروائية.

نتائج الدراسة:

تنوعت الأماكن في روايات الكاتب أحمد مراد وتعددت ما بين أماكن ضيقة وواسعة، محدودة وغير المحدودة، إيجابية وسلبية في نفس الشخصيات، اتسمت تلك الأماكن بملامح خاصة ودلالات رمزية جعل لكل منها مكانته الفريدة في النص الروائي.

المصادر والمراجع:

المصادر:

١) **رواية فيرتيجو**- أحمد مراد، مصر، القاهرة، دار الشروق الأولى، ط٤- ٢٠١٢م.

٢) **رواية ١٩١٩** -أحمد مراد-مصر، القاهرة، دار الشروق- ط١- ٢٠١٤.

٣) **رواية أرض الإله**-أحمد مراد- مصر، القاهرة، دار الشروق-ط١- ٢٠١٦م.

٤) **رواية موسم صيد الغزلان** -أحمد مراد، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠١٧م.

٥) **تراب الماس** – أحمد مراد، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط١٩، ٢٠١٧م.

٦) **رواية لوكاندة بير الوطاويط** – أحمد مراد، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط١-٢٠٢٠م.

المراجع:

١) **أبعاد المكان وأثرها في تشكيل النص في الخطاب الحسيني في(واقعة الطف)**- أ.د/ سلافة صائب – العراق- جامعة بغداد-٢٠١٩م .

٢) **استعادة المكان – دراسة في آليات السرد والتأويل** – محمد مصطفى على حسانين- رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا- نموذجاً ، ٢٠٠٥م

٣) **البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة**، للطالب/ على المنصوري- الجزائر ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م.

٤) **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية** – حفيظة أحمد- مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة- فلسطين- ط١، ٢٠٠٠م .

٥) **جماليات المكان في ديوان" لا تعتذر عما فعلت" للشاعر محمود درويش**- أ- محمد أبو حميدة- ٢٠٠٨م.

٦) **دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ" دراسة تطبيقية"**- حماني سعاد- مذكرة لنيل شهادة الماجستير- الجزائر- ٢٠٠٨م.

٧) **الرواية العربية وخصوصية المكان** – قراءة في روايات رجاء عالم- د/ أحمد جاسم الحسين -دمشق- ٢٠٠٩م.

٨) **الشخصية الروائية بين على أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية**- د/ نادر أحمد عبدالخالق .

٩) **قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر**-د/ صلاح صالح- ط١-القاهرة، ١٩٩٧م.

١٠) **المكان في روايات تحسين كرميانى– قصى جاسم أحمد الجبورى**–جامعة آل البيت– كلية الآداب والعلوم الإنسانية–٢٠١٦م.

١١) **ميشال بوتور:.بحوث في الرواية الجديدة** –ترجمة : فريد أنطونيوس. منشورات عويدات – بيروت / باريس ط ٣–١٩٨٦م.